استحضار واستشعار

نية التقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ

في الصيام والقيام

من كتب العلامة

محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ

جمع وإعداد

مساعد بن عبد الله السلمان

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ / ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد:

فعندما كنت أقرأ في كتب شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كان يمر بي خلال قراءتي لهذه الكتب، نفائس عزيزة قد لا توجد في بطون الكتب، حول ما يتعلق باستحضار واستشعار نية التقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ في الصيام والقيام، فكنت أقيدها لنفسي، ثم رأيت أن أخرجها ليعم نفعها، والله أسأل أن يجعل عملي خالصًا لوجه الكريم وأن ينفع به.

❋❋❋

وصية العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ حول استحضار نية التقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: فأوصيك يا أخي ونفسي أن تحرص دائمًا على اغتنام الأعمال بالنية الصالحة حتى تكون لك عند الله ذخراً يوم القيامة، فكم من عمل صغير أصبح بالنية كبيراً! وكم من عمل كبير أصبح بالغفلة صغيراً!.[1]

❉❉❉

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٢/ ١٧٤ .

أهمية استحضار نية التقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ

ما من عامل إلا وله نية، ولكن النيات تختلف اختلافًا عظيمًا، وتتباين تباينًا بعيداً كما بين السماء والأرض.

من الناس من نيته في القمة في أعلى شيء، ومن الناس من نيته في القمامة في أخس شيء وأدنى شيء؛ حتى إنك لترى الرجلين يعملان عملاً واحداً يتفقان في ابتدائه وانتهائه وفي أثنائه، وفي الحركات والسكنات، والأقوال والأفعال، وبينهما كما بين السماء والأرض، وكل ذلك باختلاف النية.

إذن: الأساس أنه ما من عمل إلا بنية، ولكن النيات تختلف وتتباين.(١)

ولهذا قيل: "أهل اليقظة عاداتهم عبادات، وأهل الغفلة عباداتهم عادات" كل ذلك من أجل النية.(٢)

(١) انظر شرح رياض الصالحين ١/ ١٨ .

(٢) انظر شرح العقيدة الواسطية ص ٦٨٣ .

استحضار النية عند العمل

النِّيةُ شَرْط في صِحَّة جميع العبادات لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّما الأعمال بالنِّيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى»، والنِّيَّة نيَّتان:

* **الأولى:** نِيَّة العمل، ويتكلَّم عليها الفقهاء رَحِمَهُمُ اللَّهُ أنها هي المصحِّحة للعمل.

* **الثانية:** نِيَّة المعمول له، وهذه يتكلَّم عليها أهل التَّوحيد، وأرباب السُّلوك لأنها تتعلَّق بالإخلاص.

مثاله:

عند إرادة الإنسان الغسل ينوي الغُسْل، فهذه نيَّة العمل.

لكن إذا نَوى الغُسْل تقرُّبًا إلى الله تعالى، وطاعة له، فهذه نيَّة المعمول له، أي: قصد وجهه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذه الأخيرة هي التي نغفل عنها كثيراً فلا نستحضر نيَّة التقرب، فالغالب أنَّنا نفعل العبادة على أننا ملزَمون بها، فننويها لتصحيح العمل، وهذا نَقْصٌ، ولهذا يقول الله تعالى عند ذِكْرِ العمل: ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: ٢٢] و﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل: ٢٠]، و﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا

﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنًا﴾ [الحشر: ٨].(١)

إذاً عندما نفعل العبادات علينا أن نستشعر بأننا نقوم بها امتثالاً لأمر الله تعالى؛ لأن شعور الإنسان عندما يفعل العبادة بأنه يفعلها امتثالاً لأمر الله تعالى فإن هذا مما يزيد في إيمانه، ويجد لها لذة، وهذه هي نية المعمول له، بخلاف الذي يفعل العبادة وهو غافل عن هذا المعنى، فإن العبادة تكون كالعادة، ولهذا قال المتكلمون على النيات: إن النية نوعان نية العمل ونية المعمول له، والأخيرة أعظم مقاماً من الأولى؛ لأن نية العمل تأتي ضرورة، فما من إنسان عاقل يقوم بعمل إلا وقد نواه وقصده، حتى قال بعض العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: لو كلفنا الله عملاً بلا نية لكان من تكليف مالا يطاق، لكن المقام الأسنى والأعلى: نية المعمول له التي تغيب عنا كثيراً.(٢)

❊❊❊

(١) انظر الشرح الممتع ١/ ٣٥٨.

(٢) انظر شرح حديث جابر في صفة حجة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ص ٣٢.

استحضار احتساب الأجر على الله تعالى

هل يشترط للثواب على العمل أن يحتسب الأجر على الله، أو يحصل له الأجر وإن لم يحتسب ؟

نقول: إن الرسـول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: (من صام رمضان إيمانًا واحتسـابًا -ولـم يقل: إيمانًا فقط، بل قال: إيمانًا واحتسـابًا- غُفِـر لـه ما تقدم مـن ذنبه) واحتسـاب الأجـر له أثـر عظيم على إحسان العمل؛ لأنك إذا علمتَ أنك كما تدين تُدان، وكما تعمل تُجازى، وأن الجزاء على قدر العمل؛ فسـوف تحسن العمل، أما إذا شـعرت بأنـك إذا أديت العمـل برئت ذمتك فقـط، وأنك لن تعاقب على تركه، فعملك ناقص.

لهـذا أحث نفسـي وإياكم على اسـتحضار هـذا المعنى؛ أنك إذا عملتَ العمل تحتسـب أجـره على الله، نقـول مثالاً: قال النبي عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: (من أسـبغ الوضوء وقال: أشـهد أن لا إله إلا الله، وأشـهد أن محمـداً عبده ورسـوله فُتِّحت له أبـواب الجنة الثمانية يدخـل مِن أيها شـاء) وزاد الترمذي: (اللهم اجعلنـي من التوابين واجعلني من المتطهرين) أريد من نفسـي وإياكم أن نستحضر أننا

إذا فعلنا ذلك فتِّحت لنا أبواب الجنة حتى نحرص على إسباغ الوضوء، ونحرص على قول كلمة التوحيد بعد الفراغ من الوضوء.

فهذه مسألة ينبغي أن نتفطن لها، وهي: احتساب الأجر من الله على هذا العمل.[1]

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: احتساب الأجر على الله، أمر مهم يغفل عنه كثير من الناس، كثير من الناس يصلي ويتوضأ ويعمل العمل الصالح، لكن ليس في باله أنه يحتسب الأجر، وأنه سيؤجر عليه، فينبغي لنا أن ننتبه لهذا، وأن لا تستولي علينا الغفلة، لأن هناك نية واحتساب، الإنسان ينوي العمل لوجه الله عَزَّوَجَلَّ، لكن يغفل عن كونه محتسبًا، وكونه محتسبًا فيه فائدة أيضًا وهي تقرير الإيمان باليوم الأخر، لأن المحتسب يؤمن بأن هناك يومًا آخر يحاسب فيه ويؤجر على عمله، فيكون فيه فائدتان :

أولاً : أن الإنسان واثق بوعد ربه عَزَّوَجَلَّ، وأنه سيعيضه على هذا العمل .

والثاني : تقرير وتثبيت الإيمان باليوم الأخر .

(١) انظر لقاء الباب المفتوح ص ١٥ .

فائدة

معنى الإيمان والاحتساب في قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدم من ذنبه) معنى الإيمان هنا : الإيمان بأن الله فرضه، والإيمان بما في صيامه من ثواب .

ومعنى الاحتساب : أن الإنسان يحتسب على الله أجره في صيامه لهذا الشهر، كثير منا والحمد لله يصلي، كلنا نصلي ونصوم رمضان، لكن هل يقع في قلوبنا أننا نريد بذلك ثواب الله، وأن يكون هذا ذخراً لنا عند الله، أكثر الناس في غفلة عن هذا، أكثر الناس إنما يريدون أن يؤدوا الفريضة، ولا يخطر ببالهم ثوابها، وهذا أعني كون الثواب يخطر ببال المتعبد أمر مهم، ولهذا قيد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قيد هذا الثواب العظيم، لمن صام رمضان بأن يكون صيامه إيمانًا واحتسابًا لا عادة.

﴿ فائدة ﴾

من فوائد قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدم من ذنبه)، أنه لا يحصل هذا الثواب العظيم إلا لمن جمع بين الوصفين: الإيمان والاحتساب، ومسألة الاحتساب يغفل عنها كثير من الناس، فأكثر الناس يقومون بالعمل الصالح لأنه عمل صالح، لكن الاحتساب قليل، وأضرب مثلاً لذلك: نحن نتوضأ لكل صلاة، فعندما نتوضأ أمامنا ثلاثة أمور مقصودات شرعًا:

أولاً: امتثال أمر الله عَزَّوَجَلَّ، فكأنك وأنت تتوضأ تطبق ما أمر الله به في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ [سورة المائدة: آية ٦]، أي: تستشعر أن الله يأمرك وتقول: سمعًا وطاعةً.

ثانيًا: التأسي برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كأنما رسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمامك يتوضأ وأنت تقتدي به.

ثالثًا: الاحتساب، وهو أنك إذا توضأت خرجت خطاياك عند آخر قطرة، فالاحتساب أن الإنسان يحتسب هذا على الله أنه - تعالى - سوف يأجره على هذا، ولذلك نقول في سجود التلاوة: «اللهم اجعلها لي عندك ذخراً»، فهذا أمر ينبغي أن نتفطن له.[١]

❊❊❊

(١) انظر فتح ذي الجلال والإكرام ٧/ ٤٧٩ .

فائدة

الغـرض من الصيام ليس ترويض البـدن على تحمل العطش وتحمـل الجوع والمشـقة، ولكـن هو ترويض النفـس على ترك المحبـوب لرضـا المحبـوب والمحبـوب المتـروك هـو الأكل والشـرب والجمـاع هـذه هي شـهوات النفـس. أمـا المحبوب المطلـوب رضـاه فهو الله فلابد أن نسـتحضر هذه النيـة أننا نترك هذه المفطرات طلبًا لرضا الله.[(١)]

***

(١) انظر كتاب ٤٨ سؤالًا في الصيام

فائدة

الإنسان الموفق -نسأل الله أن يجعلنا وإياكم موفقين- هو الذي يتخذ من عاداته عبادات، والغافل هو الذي يجعل عباداته عادات، الغافل يجيء مثلاً: يقوم يتوضأ ويصلي على العادة، ويتناول الطعام والشراب واللباس أيضًا على العادة.

أما الإنسان الموفق فهو الذي يجعل العادات عبادات، يشعر بأنه يتقرب إلى الله، وكذلك يحتسب الأجر، وأنها ستكون ذخراً له؛ يعني: سلفًا مقدمًا: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [سورة البقرة: آية ٢٤٥] فالأعمال الصالحة هي في الحقيقة سلف، دراهم تقدمها لتأخذها مضاعفة: (الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة).

فالإنسان العاقل يشعر بأن الأمور العادية يمكن أن تكون عبادات، فنحن نتناول الأكل والشرب على أنه شهية لنفوسنا، وهذا من طبيعتنا، لكن الموفق يمكن أن يجعل هذا الأكل والشرب عبادة .

مثلاً: في السحور، كلنا نجلس على مائدة السحور، فهل نشعر ونحن نأكل السحور بأن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول: (تسحروا فإن في السحور بركة)؟! إلا من شاء الله وهم قليل.

إذن : إذا جلست على السحور تذكر: أولاً: أمر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في قوله: (تسحروا) .

ثانيًا: سنته، أنه هو نفسه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتسحَّر، فكأنه أمامك يتسحر وأنت تقتدي به.

ثالثًا: رجاء بركة هذا السحور؛ لأن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول: (فإن في السحور بركة) .

لا ندري هل نحن نشعر بهذه الأمور الثلاثة عند تناول السحور أم لا؟...

لكن الإنسان الموفق يلاحظ الأمور الثلاثة التي ذكرناها[١].

❋❋❋

(١) انظر اللقاءات الرمضانية ص ٣٢٨ .

فائدة

البركة في السحور من عدة أوجه:

الأول: أنه امتثال لأمر النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، لقوله: «تسحروا»، وما أبرك امتثال أمر النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وقد قال الله – تعالى –: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب: آية ٧١]، وجرب قلبك إذا فعلت الشيء اتباعًا للرسول صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وامتثالاً لأمره تجد لذة في الفعل ونشاطًا عليه، بخلاف ما إذا فعلته أنه عبادة فقط، وأنها مجرد شيء واجب فهذا لا بأس به لكن ليس كالذي يشعر بأنه ممتثل لأمر الله ورسوله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

الثاني: أن فيه مخالفة لأهل الكتاب، وقد أمرنا بمخالفتهم، ففيه فصل بيننا وبين صيام أهل الكتاب، كما قال النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «فصل ما بيننا وبين أهل الكتاب أكلة السحور»، ولا شك أن مخالفة الكفار - ولا سيما فيما يقصد به التعبد - خير وبركة، و«من تشبه بقوم فهو منهم» فكل شيء يميز المسلم من الكافر، سواء في اللباس، أو في الحلي، أو في أي شيء، فإنه خير وبركة؛ لأنه لا خير

في موافقة المشـركين أبـدًا أو اليهود والنصارى في أي شـيء، أما في العبـادات فهذا قد يؤدي إلى الشـرك والكفر، وأما في العادات؛ فلأن التشبه بهم في الأمور الظاهرة قد يوصل إلى التشبه في الأمور الباطنة، والغالب أنه ما من شـخص يتشبه بإنسان إلا وهو يجد في نفســه إعجابًا به، وأنه أهل لأن يشتبه به ويقتدي به، أو ربما يكون في قلبه محبة له، وهذا شر مما قبله بالنسبة للكافرين .

الثالث: أن فيه تقوية على الصوم، وما أعان على الطاعة يثاب عليه الإنسان، فإن الذي يتسحر يكون أقوى على الصوم من الذي لا يتسحر، وهذا مجرب مشاهد .

الرابع: أن فيه عونـًا على طاعة الله؛ لأن الإنسان يأكله ليتقوى بـه على عبادة الله عَزَّوَجَلَّ وهذا لا شـك أنه بركة، فكل شـيء يعين علـى طاعة الله فهو خيـر وبركة وهذا غير الـذي قبله، فالذي قبله تحصل به القوة مباشـرة، أما هذا فمعه النية، أي: أنه فعله ليتقوى به على عبادة الله عَزَّوَجَلَّ.

فهل نحن عند أكل السـحور نشعر بأمر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنـه بركة؟ الواقع أنه قليل؛ لأننا ننسـى، لكن مـن حين أن تقدم

على السحور أو يقدم لك استشعر الأمر.

الخامس: أن فيه اقتداء برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع امتثال أمره فإن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتسحر، ولا شك أن الفعل الذي تقتدي فيه برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير وبركة، فما أبرك الاقتداء به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

السادس: أن فيه حفظًا لقوة النفس وقوة البدن، والإنسان مأمور أن يقوي بدنه ويبتعد عما يضر البدن ولأن النفس كلما نالت حظها من الأكل والشرب استراحت، وكذلك البدن كلما نال حظه من الأكل والشرب نما وبقيت قوته؛ ولهذا يكره للإنسان أو يحرم أن يصلي بحضرة طعام يشتهيه؛ لأن ذلك يوجب تشويش قلبه، وانشغال ذهنه.

السابع: أن البركة حسية ظاهرة، فإن الإنسان إذا كان مفطراً يأكل في اليوم مرتين أو ثلاثًا ويشرب مراراً، وإذا تسحر وصام فلا يأكل ولا مرة واحدة، ولا يشرب ولا مرة واحدة، ولذلك يتعجب الإنسان، يقول: كيف بالأمس شربت ست أو سبع مرات في اليوم، والآن أصبر على الماء؟! وكذلك في الأكل، وهذا من بركته.

فهذه سبعة أوجه كلها يشملها قول الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «فإن في السحور بركة»، وربما يكون هناك بركات أخرى معنوية غير ظاهرة لنا؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أمر به وعلله بهذه العلة إلا وفيه منافع كثيرة للعباد.[1]

❋❋❋

(١) انظر فتح ذي الجلال والإكرام ٧/ ١٢١ .

فائدة

وكذلك في الإفطار نتناول الإفطار؛ لأن الطبيعة تقتضي ذلك وتطلبه، فنأكله تمتعًا وتلذذاً؛ لكن هل نحن نشعر بأن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول: (إذا أفطر أحدكم فليفطر على رُطَب، فإن لم يجد فعلى تمر، فإن يجد فعلى ماء) هل نشعر بهذا؟! وأننا نفطر امتثالاً لأمر الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؟! أو نشعر بأننا نفطر ونبادر بالفطور رجاء الخير؛ لأن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول: (لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر)؟ واحرص أن تكون مائدة الإفطار عندك وقت الأذان، من أجل أن تبادر، فلا يؤذن وأنت بعيد عن الأكل، فإن أذن وأنت بعيد عن الأكل ربما يفوتك الخير، فبادر بالأكل: (لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر) وفي الأثر أن الله تعالى يقول: (أحب عبادي إليَّ أعجلهم فطراً)[(١)].

❋❋❋

(١) انظر اللقاءات الرمضانية ص ٣٢٨ .

فائدة

من فوائد حديث: (وللصائم فرحتان يفرحهما ...) أن للصائم فرحتين: إذا أفطر فرح بفطره، وذلك لحل ما تشتهيه نفسه من مأكول ومشروب ومنكوح، ولأنه أدى فريضة من فرائض ربه، فالإنسان اليقظ يفرح للأمرين جميعًا، والغافل يفرح للأول، ويتناول ما أحل الله عَزَّوَجَلَّ له، لا سيما مع طول النهار وشدة الحر، فإنه يرتقب الغروب بفارغ الصبر، ويفرح إذا أذَن من أجل أن يأكل ويشرب، لكن الذي ينبغي لنا – ونسأل الله أن يوقظنا – أن نشعر بأن هذا الفرح له سببان:

السبب الأول: أن الإنسان أدى فريضة مما فرضه ربه عليه.

والسبب الثاني: أنه تناول ما كان حرامًا عليه.

كذلك أيضًا إذا لقي ربه يوم القيامة أو قبل يوم القيامة بعد الموت فرح بصومه بما يحصل له من الثواب العظيم على هذا الصوم، ففرحة بفطر، وفرحة بصوم، ففي الدنيا فرحة بفطر، وفي الآخرة فرحة بصوم[١].

(١) انظر التعليق على صحيح مسلم ٥/ ٤٥٦.

فائدة

قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف» .

إخواني: هذه فضائل قراءة القرآن، وهذا أجره لمن احتسب الأجر من الله والرضوان، أجور كبيرة لأعمال يسيرة، فالمغبون من فرَّط فيه، والخاسر من فاته الربح حين لا يمكن تلافيه، وهذه الفضائل شاملة لجميع القرآن، وقد وردت السنة بفضائل سور معينة مخصصة[1].

❊❊❊

(١) انظر مجموع الفتاوى ٢٠/ ٢١٩ .

فائدة

من آداب قراءة القرآن:

أن يخلص الإنسان نيته لله تعالى بتلاوته، فينوي بذلك التقرب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، حتى لو أراد مع ذلك أن يثبت حفظه إذا كان حافظًا، فإن هذه نية صالحة لا تنافي الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ.

ومن الآداب أن يستحضر الثواب الذي رتب على تلاوة القرآن، ليكون محتسبًا بذلك على ربه عَزَّوَجَلَّ، راجيًا ثوابه، مؤملاً مرضاته.

ومن الآداب أن يقرأ بقلب حاضر يتدبر ما يقرأ ويتفهم معانيه ويخشع عند ذلك قلبه ويستحضر بأن الله يخاطبه فيه هذا القرآن؛ لأن القرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ.[1]

❊❊❊

(١) انظر فتاوى نور على الدرب ٢/ ١٤٢، ومجالس شهر رمضان ص ٩٢ .

فائدة

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ (١٠٩)﴾ [سورة الإسراء: آية ١٠٩]. فالبكاء عند قراءة القرآن، وعند السجود، وعند الدعاء من صفات الصالحين، والإنسان يحمد عليه، والأصوات التي تسمع أحيانًا من بعض الناس هي بغير اختيارهم فيما يظهر، بل هو شيء يجده في نفسه ويقع بغير اختياره، وقد قال العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: إن الإنسان إذا بكى من خشية الله فإن صلاته لا تبطل ولو بان من ذلك حرفان فأكثر، لأن هذا أمر لا يمكن للإنسان أن يتحكم فيه، ولا يمكن أن نقول للناس لا تخشعوا في الصلاة ولا تبكوا، بل نقول إن البكاء الذي يأتي بتأثر القلب مما سمع أو مما استحضره إذا سجد؛ لأن الإنسان إذا سجد يستحضر أنه أقرب ما يكون إلى ربه عَزَّوَجَلَّ، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد». والقلب إذا استحضر هذا وهو ساجد لاشك أنه يخشع ويحصل البكاء.(١)

❋❋❋

(١) انظر مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٣٢.

فائدة

إذا قلنا في دعاء القنوت: «اللهم اهدنا فيمن هديت» فإننا نسأل الهدايتين، هداية العلم وهداية العمل، كما أن قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦]، يشمل الهدايتين هداية العلم، وهداية العمل، فينبغي للقارئ أن يستحضر أنه يسأل الهدايتين: هداية العلم وهداية العمل.

وقوله: «فيمن هديت» هذه من باب التوسل بإنعام الله تعالى على من هداه، أن ينعم علينا نحن أيضًا بالهداية.

ويعني: أننا نسألك الهداية فإن ذلك من مقتضى رحمتك وحكمتك ومن سابق فضلك فإنك قد هديت أناسًا آخرين.[(١)]

❋❋❋

(١) انظر شرح دعاء القنوت.

فائدة

إذا قلنا في دعاء القنوت: «وعافنا فيمن عافيت» أي: عافنا من أمراض القلوب وأمراض الأبدان.

وينبغي لك يا أخي أن تستحضر وأنت تدعو، أن الله يعافيك من أمراض البدن، وأمراض القلب؛ لأن أمراض القلب أعظم من أمراض البدن ولذلك نقول في دعاء القنوت: «اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا».

أمراض الأبدان معروفة لكن أمراض القلوب. تعود إلى شيئين:

الأول: أمراض الشهوات التي منشؤها الهوى.

الثاني: أمراض الشبهات التي منشؤها الجهل.

* فالأول: أمراض الشهوات التي منشؤها الهوى، أن يعرف الإنسان الحق، لكن لا يريده؛ لأن له هوًى مخالفًا لما جاء به النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

* والثاني: أمراض الشبهات التي منشؤها الجهل؛ لأن الجاهل يفعل الباطل يظنه حقًّا وهذا مرض خطير جدًّا.

فأنت تسـأل الله المعافاة والعافية من أمراض الأبدان، ومن أمـراض القلـوب، التي هي أمـراض الشـبهات، وأمراض الشهوات.[(١)]

❊❊❊

(١) انظر شرح دعاء القنوت .

فائدة

في قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (وأَحْيَا لَيْلَهُ) أي بالقيام والذكر، أي سهر الليل فلم ينم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لاشتغاله بالقيام، ولم يرد عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يقوم الليل كله إلا في العشر الأواخر من رمضان، ولكن إذا قال قائل: كيف يتأتى ذلك مع أن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يفطر ويصلي المغرب ويصلي العشاء ويتوضأ ويقضي حاجته .

فالجواب: أن الاستعداد للعبادة من العبادة، ولذلك قال أهل العلم: ومقدمات الصلاة داخلة في إحياء الليل، فمثلاً لو كان إنسان يتأهب ويقضي حاجته ويتوضأ، وإذا أحب أن يغتسل للتنشيط، ويشرب قهوة وشاياً ، فهل يدخل ذلك في إحياء الليل؟

نقول : نعم؛ لأن هذا وسيلة فيدخل في هذا[١] .

---

(١) انظر فتح ذي الجلال والإكرام ٧/ ٤٨٨.

فائدة

في ختام شهر رمضان شرع الله لعباده أن يكبروه، فقال تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٨٥﴾ [سورة البقرة: آية ١٨٥] تكبروا الله، أي: تعظموه بقلوبكم وألسنتكم، ويكون ذلك بلفظ التكبير. فتقول: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد. أو تكبر ثلاثًا، فتقول: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله. والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد. كل هذا جائز سواء أتيت بالتكبير شفعًا، أو أتيت وتراً.

وينبغي للإنسان عند التكبير أن يستشعر أنه يكبر الله بقلبه ولسانه، وأنه بنعمة الله عليه وهدايته إياه صار في المحل الأعلى الأرفع ولهذا قال: ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٨٥﴾ [سورة البقرة: آية ١٨٥] فجعل الله التكبير فوق الهداية، أي أن ذلك التكبير كان نتيجة لهداية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتوفيقه لصيام رمضان وقيامه، وهذا التكبير سنة عند جمهور أهل العلم.[1]

(١) انظر مجموع الفتاوى ١٦/ ٢٦٩ .